Journal Of the Iraqia University 63-1(31-10) October(2023)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

رحلة الامام المغيلي الى مملكة سنغاي
دراسة في الاسباب والنتائج

المدرس المساعد : عبدالخالق احمد حميد جامعة الموصل /كلية الاداب

The journey of Imam al-Maghili to the Kingdom of Singai
A study of causes and consequences

Assistant Lecturer: Abdal Khalaq Ahmed Hameed
abalkhalaq41@gmail.com

DOI 10.58564/MABDAA.62.2.2023.343

ملخص :

يعد الامام محمد بن عبدالكريم المغيلي واحداً من اعظم فقهاء القرن العاشر في المغرب العربي الاسلامي ؛ وذلك لما اتصف به من العلم والورع والتقوى والغيرة على الدين الاسلامي ، عاش في فترة كان المغرب الاسلامي يمر بمرحلة من الضعف على كافة الاصعدة ، فأراد تغيير ذلك ، واصدر فتواه بإجلاء اليهود من توات ، ثم اقام زاويته فيها ، ورحل لنشر الدين والعقيدة الاسلامية في افريقيا الغربية ومملكة سنغاي ، وبقي فيها عشرين سنة .**الكلمات المفتاحية** : الآسكيا ، نازلة اليهود ، توات ، جاو ، سني علي

Abstract:
Imam Al-Maghili, one of the tenth century jurists in Islamic Morocco. He was characterized by knowledge, zeal for Islam. He lived during a period , which Morocco was experiencing weakness at all levels, so he wanted to change that. He issued his fatwa to evacuate the Jews from Touat, He left to spread Islam in Africa and the Kingdom of Singhai.**Keywords:** Askiya, Nazlat al-Yahud, Tuat, Jaw, Sunni Ali

المبحث الاول : تعريف بشخصية الامام محمد بن عبدالكريم المغيلي

اولاً : اسمه ونشأته : هو ابو عبدالله محمد بن عبدالكريم المغيلي (ابن عسكر،١٩٩٧، ١٣٠)، التلمساني خاتمة المحققين الامام العالم العلامة القدوة (التنبكتي ، ١٩٨١، ٥٧٦)، سمي بالمغيلي نسبة الى قبيلة مغيلة : التي تسكن في مدينة مغيلة التابعة لبلدية ودائرة مغيلة في ولاية تيارت في الجزائر حالياً (مقدم ،٢٠٠٦، ٢٧) اما التلمساني فنسبة الى تلمسان: احدى مدن الجزائرولد المغيلي في مدينة تلمسان في قبيلة مغيلة من عائلة علمية شريفة اشتهرت بالعلم والورع والتقوى، واختلفت المصادر في تاريخ ميلاده الا ان الرأي الغالب هو قول الاستاذ مبروك مقدم انه ولد بتاريخ ٨٣١هـ/١٤٢٧م، والذي يجعلنا نأخذ بهذا الرأي وصول الاستاذ مبروك الى زاوية الشيخ المغيلي في واحة بوعلي واطلاعه على اغلب الآثار العلمية التي تركها الشيخ المغيلي، فكان ذلك الاقرب للصواب، كما انه يرى ذلك بعد مطابقته لمراسلات الشيخ المغيلي ورحلته الى السودان الغربي والفترة التي قضاها هناك (مقدم، ٢٠٠٦، ٢٧) .

ثانياً : شيوخه وتلاميذه :- نشأ بتلمسان وبدأ دراسته الاولى فيها، ونهل معارفه من علمائها ، مثل شيخ مغيلة محمد بن احمد بن عيسى المغيلي المشهور بالجلاب التلمساني(٨٧٥هـ) (التنبكتي ، ١٩٨٩، ٥٥٢)، فحفظ على يده القرآن الكريم، وأخذ عنه الفقه، وامهات الكتب الفقهية للمذهب المالكي مذهب غالبية اهل المغرب الاسلامي، ثم ارتحل الى جزائر بني مزغنة (الجزائر العاصمة حالياً) فالتقى بالشيخ عبدالرحمن الثعالبي سنة (٨٧٥هـ)، ومكث معه فترة من الزمن يأخذ عنه علوم القرآن والتفسير والفقه والتصوف، وتبين له ما يمتلكه المغيلي من ملكة الحفظ والذاكرة القوية والفطنة، وما يؤهله للقيام بالادوار القيادية ، فعهد اليه بسر الطريقة القادرية (احدى الطرق الصوفية والتي سميت نسبة الى الشيخ عبدالقادر الكَيلاني) ، وامره بنشرها في بين البلاد ،(التنبكتي ، ١٩٨٩، ٢٦٠)، ثم انتقل الى بجاية حيث اخذ العلم من الشيخ احمد الوغليسي ، ثم انتقل بين مدن المغرب لطلب العلم ، حتى تفوق في مختلف العلوم الشرعية ، ومن يمعن في منهج وعقيدة الشيخ المغيلي يجده

شامل لاكثر من وجهة فكرية ، فهو اشعري العقيدة؛ اذ يعتمد على المنطق باعتباره اصلاً من اصول الشريعة، صوفي النزعة حيث تأثر بشيخه عبدالرحمن الثعالبي الذي امره بنشر الطريقة القادرية في توات وجنوب افريقيا، والذي كان واحد من اهم الاسباب التي دعته الى الرحلة الى السودان الغربي، كما انه كان فلسفي المذهب، حيث تأثر بكتب الامام الغزالي لاسيما كتابه احياء علوم الدين الذي كان يستنبط منه الآراء والاحكام الفقهية والشرعية منه (مبخوت ، ٢٠١٢، ٤٦)، وبعد ان انهى رحلته في طلب العلم واخذ العلوم من خيرة فقهاء وعلماء المغرب العربي الاسلامي ، عمد الى تدريس ونشر ما تعلمه من العلوم بين اهل بلده ، لينتقل بعدها الى افريقيا الغربية .

اما بالنسبة لتلاميذه : فقد تتلمذ على يده عدد كبير من العلماء والشيوخ في بلاد المغرب والسودان الغربي ففي تكدة تتلمذ على يده الشيخ الفقيه محمد بن احمد بن محمد التازختي المعروف بأيد احمد ، وأيد تعني (ابن) عندهم ، اي ابن احمد (السعدي ، ١٩٨١ ،٣٩) ، والشيخ العاقب الانصمي ، ومحمد بن عبدالجبار الفيجي وغيرهم(التنبكتي ، ١٩٨٩، ٥٧٨)

ثالثاً : نشاطاته في بلدان المغرب الاسلامي :-

أ- **موقفه من الاوضاع السياسية :** عاش الامام في فترة كانت فيها تلمسان تتلخبط في مشاكل واضرابات سياسية خطيرة داخلياً وخارجياً ، ففي الداخل كان هناك صراع حاد بين الامراء والسلاطين الزيانيين على العرش والنفوذ بينهم وبين القبائل المجاورة ، اما خارجياً فقد كانت غارات القراصنة الاوربيون خاصة الاسبان والبرتغاليون على موانئ الامارة الساحلية وبلدان المغرب الاسلامي ، وقد ابدى قلقه على مصير الامة والشريعة الاسلامية ، اذ سقطت في عهده غرناطة – اخر معاقل المسلمين في الاندلس – على يد ملكي قشتالة واركون سنة (١٤٩٢م)، كما احتل البرتغاليون ميناء سبتة سنة (١٤١٥م)، كما احتلوا عدد من موانئ المغرب على المحيط الاطلسي حتى وصلوا الى ساحل غينيا بغرب افريقيا ، كما ان ممالك المغرب من بني زيان، وبني وطاس، والحفصيين(مقدم ،٢٨، ٢٠٠٦)، الذين كانوا يعانون من الضعف والهوان بحيث لم يتمكنوا من نجدة اخوانهم في غرناطة، وكذلك لم يتمكنوا من صد العدوان البرتغالي على موانئهم، في هذه الثناء توجه الامام المغيلي الى توات، ووصلته انباء المسلمين في السودان الغربي وما كانوا يعانونه من سوء معاملة الملك (سني علي) حاكم سنغاي ، مما دفعه الى التفكير في الهجرة الى تلك البلاد ونشر الدين الاسلامي هناك ، لكن الظروف لم تكن تسمح بوجود حاكم مثل سني علي الذي عرف عنه انه يضطهد العلماء ورجال الدين (الفيتوري ، ١٩٨٨ ، ٤٠٢) .انتقل الشيخ المغيلي الى مهنة التدريس كشيخ واستاذ، بعد ان انتهى من طلب العلم بين مدن المغرب الاسلامي ، وفي تلك الاثناء اتضح له الفساد السياسي التي كانت تعيشه البلاد ، من خلال ما رآه في العرش الزياني تحديداً (بوعزيز ، ١٩٩٥، ١٤٤/٢) ، واصبح ساخطاً على الوضع القائم بتلمسان من جور الحكام ، ومفاسد اليهود وسكوت العلماء عن تغيير المنكر فخرج منها الى توات(ولاية ادرار في الجزائر حالياً) ، ونزل تمنطيط (بلدية رقان التابعة لولاية ادرار) سنة (٨٨٢هـ)، ونزل في توات حوالي سنة (٨٥٦هـ) ، واستقر فيها وتفرغ للتدريس والعلم ، وذاعت شهرته بعد فترة وجيزة من اقامته فيها ، فاصبح معلماً وداعياً ومصحاً.

ب- نازلة يهود توات : من خلال اقامة الامام في تلمسان، وتبحره بالعلوم ، وتفقهه في امور الدين والدنيا ، تبين له ما وصلت اليه بلاده من الانحلال السياسي ، وغفلة المسؤولين واصحاب الشأن عما يفعله الاجانب في بلادهم، لا سيما الجالية اليهودية(يحي، ٢٠١٥ ، ٢٦)، وعندما دخل الى توات وجد الوضع فيها اسوء من تلمسان؛ نتيجة لسيطرة اليهود على اكثر جوانب الحياة فيها، لاسيما في الجوانب الاقتصادية، (مقلاتي ، ٢٠٠٩، ٧٣)، فتأثر كثيراً لخروج الامراء عن طريق الاسلام الصحيح وتطبيقهم للشريعة الاسلامية، حيث سمحوا لليهود ببناء البيع لهم في توات، وفي مدينة (تمنطيط) على وجه الخصوص ، فقام اليهود ببناء بيعة كبيرة فاقت كل الحدود بكبر حجمها وجعلوا منها مملكة يهودية وليست ارضاً اسلامية ، وهذا ما اغضبه عليهم واعتبر ذلك الامر تجاوز لحدود الشريعة الاسلامية ، واهانة للمسلمين ، فقرر مواجهتهم وتغيير ذلك الامر ووضع حد لهذا التطاول ، واصدر فتوى بهدم بيع اليهود واجلائهم من توات (يحي، ٢٠١٥ ، ٢٦) إذ سيطروا على الاسواق في الداخل، والتجارة مع المناطق المجاورة والبلدان المجاورة في الخارج، واستغلالهم للحكام والاعيان والعلماء، وتجاوزهم حدود الشريعة الاسلامية، كما انهم استغلوا الفقراء من خلال احتكارهم للسلع والبضائع التجارية ،مما كان له الاثر السلبي على المجتمع في توات (بوعزيز ، ١٩٩٥، ١٤٦/٢) ، رفض المغيلي هذا الوضع، واخذ على عاتقه تغيير هذا الامر، فعمد الى تغيير ذلك بالطرق السلمية اول الامر ، وذلك من خلال استشهاده بعهود الذميين التي وجبت على اهل الذمة من اهل الكتاب (اليهود والنصارى) عند الفتح الاسلامي لبلاد اهل الكتاب، لكن ذلك لم يجدي نفعاً؛ نتيجة لما كان لليهود من امتيازات في توات من النواحي الاقتصادية من حيث سيطرتهم على الاسواق وتحكمهم بالتجارة فيها، وكذلك من خلال المكانة الكبيرة لهم عند ملوك بني زيان، مما حمله على محاربتهم والقضاء على بيعهم (دور العبادة)، ومواجهتهم بكل قوة محاولاً طردهم من البلاد (البكري،٢٠٠٧، ٧٣) ، فقد رأى بانهم تجاوزوا الحدود الشرعية واستعلوا على المسلمين ، ووجد ان وضع الاهالي غير متوازن سياسياً

واجتماعياً ودينياً ، ولا يخدم مصالح عامة الناس، انما يخدم فئة خاصة من اليهود وبعض المتعاونين معهم من التجار، فرأى انه لا سبيل لذلك الا بالتغيير حتى لو تطلب الامر القتال والسلاح، والف بذلك رسالة وكانت رداً على سؤال ورد اليه : عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم من اهل الذمة والصغار ، فيما عليه يهود هذا الزمان، في اكثر البلاد والاوطان ، من الجرأة والطغيان، والتمرد على الاحكام الشرعية والاركان ، بتولية ارباب الشوكة وخدمة السلطان ، اسماها : مصباح الارواح في اصول الفلاح (التونسي ، ٢٠٠١، ٤٠).الا ان الامر لم يتم له بسهولة، فق واجه معارضة من بعض علماء توات وبعض المسؤولين فيها مثل القاضي ابو عبدالله العصنوني قاضي توات (التنبكتي ، ١٩٨٩، ٥٧٦) ، الذي رأى ان اليهود اهل ذمة وانهم ملتزمون بشروط الذمة ويدفعون الجزية ، وان ذلك فيه اذكاء نار الفتنة بتوات، الا ان المغيلي رأى انهم تنافوا مع شروط الذميين عندما قاموا ببناء البيع ، واظهار الشعائر اليهودية التي تتنافى مع الشريعة الاسلامية (بعثمان، ٢٠١٣، ١٣٠)، وجرى بينهم سجال وقام العصنوني بمراسلة العلماء يستفتيهم في ذلك الامر (مبخوت ، ٢٠١٢، ٤٨)، فكان رد هؤلاء العلماء متباين بين مؤيد لهذا ورافض لذاك فمن ايد العصنوني، مفتي تلمسان القاضي الفقيه ابو زكريا يحيى ابي البركات الغماري التلمساني، ومفتي تونس الرصاع، ومفتي فاس ابو مهدي الماواسي(بوعزيز ، ١٩٩٥، ١٤٩/٢) ، وكان ردهم بان اليهود ذميون لهم ما لأهل الذمة من الحقوق المنصوص عليها في كتب الفقه المشهورة ، اما المغيلي فشد رحاله الى فاس لمناظرة علمائها وفقهائها بعد ان وصل اليه رد مفتيهم الماواسي(مبخوت ، ٢٠١٢، ٤٩)، وعندما وصلها خرج للقائه مجموعة من الفقهاء، ولما اخبرهم بنازلة اليهود انفوا ذلك، ورجعوا الى السلطان فأخبروه بأن هذا الرجل جاء طامعاً بالملك، مما اغاض قلب السلطان عليه، فلما دخل عليه الامام، قال له السلطان انما جئت الى هنا طامعاً بملك هذا البلد، فأجابه الامام بقوله: " والله ما هي عندي الا هي والكنيف " (ابن عسكر ، ١٩٩٧، ١٣١)، والكنيف يعني المرحاض، ثم خرج من عنده غاضباً، وتبين له انه لا سبيل له الا باجلاء اليهود وبشكل نهائي من توات، فراسل بدوره عبدالله الشريف والامام السنوسي، اللذين افتوا بأن ما احدثه هؤلاء من الاديرة او الكنائس هو خروج على الاحكام الاسلامية وايدوا رأيه بوجوب اجلاء اليهود من توات (مبخوت ، ٢٠١٢، ٤٩)اشتعلت نار الثورة عام (٨٩٥هـ/١٤٩٠م) ، واسفرت عن تهديم معبد اليهود ، وقتل من اعترض طريقهم (ابن عسكر ، ١٩٩٧، ١٣١)، وكان السبب المباشر لهذه الثورة ان المغيلي كان شديد التدين دقيق الملاحظة ، وقد رأى بان واجبه الشرعي يحتم عليه تغيير هذا الامر لكي يتنفس الناس السعداء ، من بعد ما عانوه من تلك السياسات التي والت اليهود واضرت بمصالح غالبية المسلمين.وقد اوكل اليه بعد استقرار الاوضاع في توات واجلاء اليهود منها منصب (قاضي الجماعة)، لكونه عالماً وثورياً وسياسياً في نفس الوقت، وانه تصدى لأخطر مسألة في تلك البلاد وذلك العصر، وافتى بعدم جواز استحداث البيع اليهودية في تمنطيط وتوات ، وانشأ جهاز للشرطة عهد به الى ابنه عبدالجبار، فاصبح المغيلي اماماً للمسلمين في هذه البلاد(مبخوت، ٢٠١٢، ٤٦) ، وعندما توجه برحلته الى بلاد السودان الغربي، عقد لواء الحرب على اليهود وانصارهم لإبنه عبدالجبار (بعثمان ،٢٠١٣، ١٣٢) .

ج- **زاوية الشيخ المغيلي في تمنطيط :** بنى الشيخ المغيلي زاويته سنة(٨٨٥ هـ / ١٤٨٠م) في واحة بوعلي الهني في تمنطيط(بوعزيز، ١٩٩٥، ١٥٢/٢)، وقصدها الكثير من المريدين وطلبة العلم، وكانت لهذه الزاوية الاثر البالغ في حياة الامام الدينية والسياسية، فاتخذها مكاناً للتدريس فيأتي اليه طلبة العلم من كل حدب وصوب للتزود من علومه، كما اتخذها قاعدة ونقطة انطلاق لمحاربة اعدائه من اليهود (يحي،٢٠١٥،٢٠)، كما اتخذها كمكان للقضاء، حتى عدت ثاني اكبر دار للقضاء في توات بعد مركز تمنطيط للقضاء، وكانت تفصل في الخصومات والمنازعات والنوازل الفقهية التي تشكل على الناس، كما كانت مأوى للمسافرين وارباب القوافل التجارية ، وبمثابة منزل لإيواء لفقراء، مما أكسبها صيتاً داخل وخارج توات والمغرب الاسلامي(حاج احمد،٤٧،٢٠١٠-٤٨)كما كان لها صدى واسع في بلاد السودان الغربي حيث تزعمت الطريقة القادرية، التي وثقت التواصل بين السودان الغربي وبلدان المغرب العربي الاسلامي (مبخوت ، ٢٠١٢، ٤٧)، ولعل ما اوصل صداها الى بلاد السودان الغربي، تجار السودان الذين قدموا والى توات ، تلك المحطة التجارية التي كانت تقع على واحد من اهم الطرق التجارية، وهو الطريق التجاري القادم من حواضر ومدن المغرب العربي الاسلامي الى حواضر وبلاد السودان الغربي وما وراء الصحراء مثل ممالك الهوسا، جاو وتمبكتو وغيرها من المدن (بعثمان ، ١٢٤،٢٠١٣) .

خامساً : وفاته :-

بعد سماع الامام المغيلي بخبر استشهاد ولده عبدالجبار، ترك افريقيا الغربية، وعاد الى بلاده، فوصل الى تمنطيطن وتوفي بواحة بوعلي بتوات ودفن بزاويته سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م، مخلفاً ورائه ارثاً علمياً وحضارياً ما زال قائماً الى يومنا هذا (مبخوت ، ٢٠١٢، ٤٥) ، فقد ترك اكثر من اربعة عشر مؤلفاً ، ناهيك عن الرسائل التي اكتتبها لملوك السودان في مواضيع الدعوة والاصلاح(التنبكتي ، ١٩٨٩، ٥٧٧) .

المبحث الثاني : رحلة الامام الى مملكة سنغاي

اولاً : نبذة عن تأريخ مملكة سنغاي :تقسم بلاد السودان الواقعة جنوب الصحراء الكبرى الى ثلاثة اقسام اطلق عليها السودان (الشرقي والاوسط والغربي) ، واطلقت تسمية السودان الغربي على المنطقة التي تمتد من ثنية نهر النيجر في الشرق حتى المحيط الاطلسي في الغرب (الشكري ،١٩٩٩، ٦٠) ، وهي تشمل الآن بلاد السنغال، غامبيا، وفولتا العليا(بوركينا فاسو حالياً) ، والنيجر الاوسط (ويدنر ، د/ت ، ١٥)، يرجع تاريخ مملكة سنغاي الى القرن الاول الهجري/السابع الميلادي، او قبل ذلك ، وتوالى على حكمها اسرتين كبيرتين هما اسرة (ضياء) والتي كان حكامها يلقبون بلقب (سني)، واسرة آسكيا او (الآسقيين) والتي كانو يلقبون باسم (آسكيا) وتعني (ليس الملك ، او المغتصب للعرش) (السعدي ، ١٩٨١، ٧٢) ، وكان لهتين الاسرتين التاريخ الطويل والحافل بالاحداث السياسية في تاريخ افريقيا الغربية والسودان الغربي، لا يسعنا البحث ان نتناوله بشيء من التفصيل، وقد مر المغيلي في رحلته الى سنغاي بمرحلتين هما :

أ- **طريقه الى بلاد الهوسا :** توجه المغيلي من توات الى افريقيا ، وقضى فيها ما يقارب العشرين عاماً للدعوة والارشاد وكانت اول المناطق التي نزل فيها هي بلاد الهوسا : وهي بلاد واسعة تتكون من سبع ممالك لكل مملكة ملك خاص ، وتمتد من جبال الأير شمالاً الى السفح الجنوبي لهضبة جوس جنوباً ، ومن حدود مملكة برنو شرقاً الى نهر النيجر غرباً (آدامو ، ١٩٨٨ ، ٢٧٣/٤) ، فنزل في مدينة آهير (في دولة نيجيريا) ، ثم الى تكدة (في دولة مالي) ، وقعد في تكدة لمدة من الزمن واشتغل فيها بالعلم والتدريس والعظ (بوعزيز، ١٩٩٥، ١٥٢/٢)، وممن اخذ علمه فيها الفقيه محمد بن احمد بن ابي محمد التازختي والعاقب الانصمي ، ثم انتقل من تكدة الى كانو(من اشهر ممالك الهوسا) سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) (الفيتوري ، ١٩٨٨ ، ٤٠٢) ، وبنى فيها مدرسة سماها باسمه (مقدم ٢٠٠٦، ٣٣)، وتولى فيها التدريس والقضاء والافتاء والامامة ، لكنه تنازل عن الامامة والقضاء لطلبته الذين وفدوا معه من توات ، كما التقى بسلطانها (ابي عبدالله محمد رنفة – او رمفا – بن يعقوب) ، وعمل عنده بمثابة مستشار للامور الدينية ، فكان لا يقوم بعمل الا بعد ان يأخذ رأي الامام وموافقته عليه ، ثم ولاه القضاء فيها ، وكذلك الافتاء ، كما طلب منه ان يضع له كتاباً او وصية لكيفية التعامل مع الرعية ،(حاج احمد ،٢٠١٠ ، ٥١)، ثم توجه الى كتسينا (شمال نيجيريا حالياً)، وتولى فيها القضاء والافتاء ايضاً ، كما والتقى باميرها (ماجي ابراهيم)، ولعل زيارته كانت زيارته بدعوة منه، والذي بدوره وضع له جملة من النصائح ليدي بها شؤون امارته (الفيتوري،١٩٨٨، ٤٠٢)، كما بنى فيها مسجداً بحارة غوباروا، وعين لها قاضياً من طلبته، ونال فيها مكانة عالية، حتى ان اهلها كانوا يسمونه بالشريف (عبدالسلام ،٢٠١٥، ١٥) .

ب- **وصوله الى مملكة سنغاي :** توجه الامام بعد بلاد الهوسا وممالكها الى مملكة سنغاي ، ودخل عاصمتها جاو سنة (٩٠٢هـ/١٥٠٢م) (مرجان ، ٢٠١١ ، ٨٦)، وكان ذلك في عهد عهد الآسكيا محمد ابو بكر التوري الكبير(ت٩٣٥هـ/١٥٢٨)، الذي تولى الملك بعد ان قاد انقلاب عسكري كبير ضد ابي بكر داعو ابن سني علي الكبير (ت٨٩٨هـ/١٤٩٢م)، واستمرت اسرته في الحكم حتى سنة (٩٩٩هـ/١٥٩١م) (مبيضين ، ٢٠١٤، ٤٤٠-٤٤١) ، كما استطاع الاسكيا من بناء جيش مدرب وقوي تمكن من خلال التوسع والسيطرة على بلاد واسعة من مالي والهوسا، واصبحت بلاد الهوسا كلها من ضمن مملكته وتحت سلطانه ، وحارب القبائل الوثنية في السودان الغربي، بعد دعوتها الى الاسلام وامتناع اهلها، واصبحت دولته مترامية الاطراف وتمتد من المحيط الاطلسي غرباً الى نهاية بلاد الهوسا شرقاً، ومن الصحراء الكبرى شمالاً الى فولتا العليا جنوباً، فاصبح السودان الغربي كله تحت سيطرته (مبيضين ، ٢٠١٤، ٤٤١)، واعتبر عصره بمثابة العصر الذهبي لسنغاي ، وقد ذكره القاضي محمود كعت بقوله: " الامام العادل والسلطان الفاضل اسكيا الحاج محمد لما تولى السلطنة اقام طريقة سننغي وجعل فيها قواعد " (التنبكتي ، ٢٠١٤ ،٩١)، كما ذهب للحج الى بيت الله الحرام سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، في السنة الثانية من توليه العرش، وحج معه من الاعيان والعلماء مثل ألفا صالح جور ومحمود كعت، وغيرهم، ومن العبيد والخدم ثمانمائة عبد، (التنبكتي ، ٢٠١٤ ،١٠٠- ١٠١)، والتقى فيها بأمير المؤمنين المبارك الشريف العباسي، والبسه قلنسوة خضراء، وعمامة بيضاء، واعطاه سيفاً، واشهد الحاضرين على انه خليفته بارض التكرور، وان كل من خالفه في ارضه فقد خالف الله ورسوله (التنبكتي ، ١٩٨١ ، ٧٣)، وعند عودته من الحج قام بجملة اصلاحات منها اطلاق سراح كل من تم سجنه من قبل سني علي من اهل البلاد والعبيد ، ورد الاموال الى اهليها ، وعين في كل بلد قاضي ، وعين الشيخ ابو البركات محمود أقيت (ت٩٥٥هـ/١٥٤٨م) شيخاً للاسلام ، وقاضي للقضاة في مدينة تمبكتو (مبيضين ، ٢٠١٤، ٤٤١) ، ولا شك بان منصب قاضي القضاة هو من المناصب التي استحدثها من خلال ما رآه في حجه من تنظيمات في مصر والحجاز.عرف عن الآسكيا محمد تشجيعه للعلماء والفقهاء وكان محباً لهم(ابن عسكر ، ١٩٩٧، ١٣١)، لكونه مالكي المذهب، وقد مهد الطريق للعلماء والدعاة المالكيين على وجه الخصوص للوصول الى اراضي مملكته، وليتمكن من ادارة امبراطوريته ادارة اسلامية مشابهة للادارة العربية الاسلامية في

المشرق الاسلامي، والذي ساعده على ذلك البيئة الصالحة التي عاش فيها ، فابوه كان من العلماء ، وامه كانت تقية صالحة (مرجان ، ٢٠١١ ، ٨٦)، كما ان ارتفاع منزلة العلماء والفقهاء عنده كانت واضحة في اكثر من جانب ، حيث نراه يخرج من مدينته، وذلك لاستقبال القاضي ابي البركات، عند عودته من الحج عام(٩٢٤هـ/١٥١٨) (السعدي ، ١٩٨١ ،٧٧). وكان الامام المغيلي من المقربين له ، وعمل على استشارته في تدبير ملكه بمقتضى الشريعة الاسلامية (الفيتوري ، ١٩٨٨ ، ٤٠٠)، وقد وجه له الآسكيا جملة من الاسئلة اجابه عليها بكل وضوح ، وجمعها في كتاب اسماه (اسئلة الآسقيا واجابة المغيلي عليها)، والتي سيرد ذكرها في الصفحات القادمة من هذا البحث .

ثانياً : اسباب الرحلة

أ- **الاسباب الدينية :-** سلك الامام المغيلي طريق الدعوة لنشر الدين الاسلامي ، فكانت هي السلاح الذي حارب به اعداء الاسلام ، وحث على عبادة الله وحده ومحاربة عبادة الاوثان . واصلاح العقيدة الاسلامية في البلاد التي زارها ، وبناء مجتمعاتها وفق سياسة دينية حكيمة، في تسيير البلاد والعباد (مبخوت ، ٢٠١٢، ٤٥) ، كما عمل تصحيح المسارات الفقهية في تلك البلاد، والعمل على تنقيتها من الشوائب التي علقت بها (مقدم ،٢٠٠٦، ٣٠). وكانت زاويته تمثل احد الجوانب الاساسية في دعوته ، فقد جمعت بين المهام الدينية والسياسية؛ وكانت قاعدة لانطلاق انصاره واتباعه في حربه ضد اليهود (مبخوت ، ٢٠١٢، ٤٨)، ومقصد لمن يطلب العلم.واتفق اغلب الباحثون على ان سبب رحلة المغيلي الى السودان الغربي كان لنشر الدعوة الاسلامية، حيث قال الزركلي " ورحل المغيلي الى السودان وبلاد التكرور لنشر احكام الشرع وقواعده " (الزركلي ، ٢٠٠٢ ،٢١٦/٦) ، كما يقول توماس ارنولد في ذلك " وقد دخلت القادرية في افريقيا الغربية في القرن الخامس عشر ميلاد على ايدي مهاجرين من توات " (ارنولد ، ١٩٥٧ ،٣٦٥)، وحاز الامام بذلك على المنزلة الرفيعة في سنغاي، حتى نجد بأن الآسكيا قد جعله مستشاراً له في الشؤون الدينية، كما بعثه الى مدينة كبي(شرق النيجر) مع مجموعة من العلماء؛ وذلك من اجل دعوتهم الى الاسلام والتوحيد ، فقام بواجبه على اكمل وجه ، واعتبر امام يسير على خطة منهجية، وقدوة يقتدى به في تلك البلاد (قحام ، ٢٠١٧، ٤٣)وقد رُوِيَ عن الشيخ عبدالرحمن الثعالبي (٧٨٦-٨٧٥هـ) : انه سيكون في اخر الزمان في ارض تكرور خليفتان احدهما يظهر في القرن التاسع الهجري ، وان الاخر يظهر في اول القرن الثالث عشر، ينكرهما اهل عصرهما اشد التنكير ، وينسبون افعالهما الى الظلم والاباطيل ، فيلمع الله لهما كل جاهل جحود ، وكل عالم حسود، يسويان في جميع الاوصاف الحميدة الا في العلم، يفيض الله في ايديهم الاموال العريضة المخزونة يصرفانها فيما يرضي الله (التنبكتي ، ٢٠١٤، ١٠٠) ، لربما كان هذا السبب الرئيسي لتوجه المغيلي الى مملكة سنغاي، حيث وجود احد الخلفاء، ونحن نعلم بمكانة الشيخ التعالبي عند المغيلي ، فهو استاذه ومعلمه ، ثم موكله بالطريقة القادرية ، التي اراد منه نشرها في كل البقاع التي يذهب اليها، ولذلك نجد الامام قد اخذ على عاتقه الالتزام بهذه الوصية، فأسس زاويته في المغرب على الطريقة القادرية ، ثم رحل لينشرها في افريقيا الغربية، لا سيما اذا ما علمنا بأن الطرق الصوفية وما فيها من جوانب روحية واذكار واناشيد مشتركة ، تكون هي الاقرب في الوصول الى المجتمعات الوثنية ، لانها لا تتطلب منهم تغيير الكثير من مبادئهم، وان مدة اقامته في افريقيا الغربية بلغت عشرون سنة، وانتقل في آخر هذه السنوات الى مملكة سنغاي، فلبرما كان ينتظر الفرصة لخروج هذا الخليفة، خاصة ان الآسكيا اطاح بحكم اسرة سني، التي عرف عنها القتل والبطش والتنكيل بالمجتمع، لاسيما بالعلماء والفقهاء، ثم جاء الآسكيا محمد ليصب تركيزه على هذه الجزئية، فيصلح احوال الفقهاء والعلماء والقراء، ويبدأ بالاصلاح الديني والاداري، الامر الذي جعله يوصف بالخليفةوتعقيباً على الرواية السابقة، نجد ما يوصف الآسكيا بانه الخليفة في ارض التكرور، وذلك عندما التقى الامام السيوطي (٩١١هـ) بالاسكيا محمد بمصر، بعد عودته من رحلة الحج الى بيت الله الحرام، سأله الآسكيا عن الخلفاء من بعد الرسول فقال له السيوطي هما اثنا عشر خليفة ، خمسة منهم بالمدينة، واثنان بمصر، وواحد بالشام، واثنان في العراق، وقد مضى هؤلاء، واثنان في ارض التكرور، انت احدهما، ويأتي بعدك الثاني ... (التنبكتي ، ٢٠١٤، ٩٤) ، ويرتك في الخلافة رجل عالم صالح تابع للسنة اسمه احمد، يظهر امره في جزائر سبر ماسنة- اي تلال ماسنة- ولكن من قبيلة سنقر، وهو آخر الخلفاء المذكورين (التنبكتي ، ٢٠١٤، ٩٥) ، ولو نرجع الى ما قيل في الروايتين المذكورتين، نجدهما يخدمان غرض واحد الا وهو الخليفة الآسكيا الحاج محمد، وقد تفرد بهما صاحب كتاب الفتاش القاضي محمود كعت، وان القاضي قد رافق الآسكيا في رحلته تلك، فلبرما اراد ان يعطي له صفة دينية لم تكن في من قبله، وهو خليفة رسول الله في بلاد التكرور ليكسبه مكانة دينية ودنيوية في نفس الوقت ، فتكون هذه بمثابة حصانة له، وتأييداً من قومه، الا ان خليفته من ارض المغرب واسنه احمد، يجعلنا نعتقد بأن هذه الرواية وضعت في ما بعد، من قبل من بعض المترجمين والمنقحين لنسخ كتاب الفتاش الاصلية، حتى اننا نجد تفاصيل الاحداث التي تعرضت لها اسرة سنغاي واضحة فيها، فلبرما كانت بمثابة دراسة لتلك الاحداث الا ان الامام رحل الى تلك المملكة واقام عند اميرها الآسكيا محمد، لمدة عام كامل، واستفاد الاسكيا من علمه وجعله مستشاراً للشؤون

الدينية، ثم طلب منه ان يجيبه عن بعض الامور المهمة والاساسية في مملكته، وان يرتب اجابتها؛ ليجعلها بمثابة مرجع يرجع اليه، فيحكم على ضوء مملكته، وظل الامام في السودان قاضياً وعالماً ومصلحاً الى ان وصله خبر مقتل ولده عبدالجبار من قبل يهود توات ، فغضب غضباً شديداً وطلب من الاسكيا محمد اعتقال كل ليهود الموجودين في جاو ، ففعل الاسكيا استجابة لأمره، ومراعاة لمشاعره، لتبرز لنا مكانة المغيلي عند الاسكيا محمد (قحام ، ٢٠١٧، ٤٣) ، الا انه اطلق سراحهم بعد ان انكر عليه القاضي ابو الحسن محمود بن عمر إذ لم يفعلوا شيئاً (التنبكتي ، ١٩٨٩، ٥٧٧).

ب- **الاسباب السياسية** :- بينما يرى البعض من الباحثين ان سبب رحلة الامام المغيلي الى السودان الغربي ، كان سبباً سياسياً محظ ، وان كان لا يخلو من كونه دينياً واصلاحياً حيث انه وبعد ما وصل اليه من منزلة كبرى في بلاده ، اراد ان يوسع ذلك ويجعل من السودان الغربي سداً وحاجزاً منيعاً يحمي به حدود دولته من الناحية الجنوبية ، ويضيق الخناق على اعدائه مادياً واقتصادياً (الادريسي ، ٢٠٠١ ، ص١٢٥)، واذا تتبعنا رحلة المغيلي من توات الى بلاد السودان الغربي ، نجد ان ما قام به من اعمال في المغرب كانت بمثابة خطوة اولى لبناء دولة منهجها الشريعة الاسلامية ، وكان اول هذه الاعمال هو حول معبد اليهود في تمنطيط الى جامع للمسلمين وهذا الامر من اوائل الامور التي تبدأ به خطط المدينة الاسلامية ، ثم انشأ فيها سوقاً يقوم على الاسس والقواعد الاسلامية ، وكان هو المشرف على هذا السوق ، يراقب فيه البيع والشراء من حيث الحلال والحرام ، وكذلك محاربة الغش والامور الربوية ، بالاضافة الى جعل هذا السوق بمثابة مجلس للعلم ، بحيث كان يلتقي فيه بكبار العلماء والفقهاء من توات وخارجها (يحي ، ٢٠١٥ ، ٣٠)، ثم انتقل الى السودان الغربي من اجل كسب ثقة ملوكها ليأمن على الجبهة الغربية من دولته (يحي ، ٢٠١٥ ، ٣٠)، واقام فيها عشرين سنة، ليحث ملوكها على بناء دولتهم على اسس شرعية متينة، من خلال الربط بين الدين والسياسة.

ثالثاً : الاسباب الفكرية : - تبنى المغيلي ثورة كبيرة تهدف الى تغيير المجتمعات على كافة الاصعدة ، وكان من بين اهداف تلك الثورة ما يسمى بالاصلاح الفكري ، وذلك من خلال النهوض بافكار تلك البلاد، ومحاربة البدع والخرافات(الفيتوري ، ١٩٨٨ ، ٤٠٣) ، والعمل على تغيير الانظمة الحالية لما فيها من التفسخ والانحلال والجمود الفكري من قبل الحكام والعلماء ، والذي انعكس بدوره على عامة الناس ، وكان ذلك منتشراً بين بلدان ومدن المغرب الاسلامي ، وكذلك في السودان الغربية وافريقيا الغربية على حد سواء ، فعمد الى تغيير الوضع الحالي ، من خلال الافكار الثورية والاصلاحية التي دفعته الى محاربة اليهود واجلائهم من توات ، ثم التوجه الى افريقيا الغربية وتغيير انظمة الحكم فيها ، من خلال ما اضافه من الانظمة والقوانين ، التي اشار بها الى ملوكها وامرائها فلقيت افكاره خير ترحاب في تلك البلاد ، وان منهجه الاصلاحي كان يهدف الى اصلاح الامة من الداخل والعمل على رفع قوامها وتربية الحاكم والمحكوم على وفق المنهج الاصلاحي الديني، والدليل على ذلك ان تعاليمه الاصلاحية وافكاره كانت محل دراسة في القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت تعاليم شاملة ليست في الدراسات الاسلامية فقط ، بل في المجالات القانونية والسياسية والفكرية والادبية ...الخ (قحام ، ٢٠١٧، ٤٤) ، معتمداً بذلك على الصفة الحوارية التي اتصف بها مع كل من التقى بهم في افريقيا الغربية او المغرب الاسلامي، اذ انه في بادئ الامر كانت يفتح المجال للحوار، وان انكر البعض ذلك.فقد حاور علماء تلمسان واهل توات وغيرهم، حتى نجده في نازلة اليهود يتحمل عناء التنقل والترحال لمناقشة خصومه ومعارضيه ، ولكسب ثقة مؤيديه ، فسار بنفسه لمناقشة اهل فاس، عندما رفضوا رأيه باجلاء اليهود من توات والمغرب العربي الاسلامي، وبنفس السلاح الحواري سافر الى بلاد السودان الغربي، وكان اول ما يقوم به هو محاورة اهلها من امراء وملوك وعلماء، ليكشف لهم عن مبادئه ومنهجه الاصلاحي، الذي استطاع من خلاله ان يؤسس امارة العدل والمساواة (جعفري ، ١٢،٢٠٢٠-١٣) .

المبحث الثالث : النتائج التي تمخضت عن الرحلة

لقد انتجت رحلة الامام المغيلي الى بلاد وممالك السودان الغربي، الاسلامية وغير الاسلامية، مجموعة من الافكار التي مدته بالدراسة المعمقة للانسان والمجتمع والعادات والتقاليد التي تحكم تلك البلدان والممالك الصغيرة ، ومن خلال اقامته فيها وممارسته بالتدريس والامامة والارشاد، زاد تعلقه بتلك المجتمعات، كما تعلق سكانها بافكاره الاصلاحية ، وآرائه الثورية (مقدم،٢٠٠٦، ٣١)، وكان ذلك واضحاً من خلال ما يلي :

اولاً : نشر الدين الاسلامي والتعاليم الاسلامية : ان اهم النتائج التي توجت بها رحلة الامام المغيلي الى سنغاي هي نشر الدين الاسلامي في بعض المناطق من افريقيا الغربية، وكذلك نشر العقيدة الاسلامية الصحيحة، التي تكمن في محاربة البدع والخرافات والعادات الشركية التي كانت متواجدة بكثرة في تلك المجتمعات، وهذا ما نراه في اعماله في تلك البلاد، فنجده في كل بلد يصل اليه، يعمل جاهداً على اصلاح عقيدة اهله، فيبدأ بالتدريس والعظ والارشاد، بين اهل ذلك البلد، ثم يصل الامر الى الحكام، الذين بدورهم رحبوا به، واعطوه منزلة عالية بينهم، حتى

انهم طلبوا منه ان يكتب لهم الوصايا في كيفية الحكم وادارة دولهم، كما فعل امير كانو محمد مرفا ، وامير كتسينا ماجي ابراهيم، والاسكا الحاج محمد الكبير في مملكة سنغاي.

ثانياً نشر الثقافة الاسلامية ان الجهود التي اضفاها الامام المغيلي من الناحية الثقافية والادارية والسياسية والقانونية ، كانت واضحة من خلال

١- اثراء المكتبات بمجموعة قيمة من المخطوطات العظيمة والتي كانت بمثابة تجارب ميدانية

٢- ترك اثراً علمياً توارثته ثلاثة اجيال متعاقبة وبقي محفوظاً لدى

أ- طلابه الذين تتلمذوا على يده وكسبو شرف مصاحبته وملازمته في بلاد السودان الغربي

ب- الدراسين على طلابه الذين نقلوا دروسهم عن طلابه ومرافقيه

ج- الدارسين على طلاب طلابه ، وكان هذا بمثابة سلسلة متواترة ممن اخذ العلم عن الامام المغيلي في السودان الغربي وبلاد الهوسا والمناطق التي وصله الامام ، ولا زالت مدينة كانو تعيش عل افكاره وآرائه الى اليوم (مقدم ،٢٠٠٦ ،٣٢) .

ثالثاً : الافتاء للآسكيا محمد بما يشكل عليهم من امور دولته :

اهتم الآسكيا محمد ببناء دولة قوية، يكون منهاجها الشريعة الاسلامية، وعمد الى اكرام العلماء والفقهاء، ولعل تنصبه كخليفة للمسلمين في بلاد التكرور من قبل امير الحجاز، قد اكسبه صفة شرعية ليحكم باسم الدين الاسلامي، اضافة الى ما اخبره به الامام السيوطي، بان الخليفة الاول في بلاد التكرور، وان ما ينقصه الا العلم والعمل بالمبادئ الاسلامية، مما دفعه الى تقريب العلماء بصفة مستشارين له، وكان الامام المغيلي مستشاراً له في الشؤون الدينية .بعد ان وصل الامام المغيلي الى جاو سنة (٩٠٢هـ) عرض عليه الاسكيا سبع من المسائل في الامور الاساسية التي تهم دولته، وطلب منه الاجابة عليها وان يفتيه فيها بموجب الشريعة الاسلامية، بقوله " ثم اطلب من الله ثم منك ان يفتي لي بما علمك الله ويجب علي البحث عمن نوليه الحكم ونقلده في امور الدين، ويبين لنا صفة من يصلح لذلك شرعاً، ثم اطلب منك ايضاً ان تشفي غليلي بترتيب الاجوبة على هذه الاسئلة بزيادة ما تيسر لكم من النصيحة ايضاً" (المغيلي ،١٩٧٤ ،٢٢-٢٣) .

ففي السؤال الاول : سأله عن عدم امانة اهل العلم في بلده، كونهم لا يفقهوا كلام العربية الا ما تعلموه من عرب بلادهم ، فهل عليه ان يبحث عمن هو اكفأ منهم (المغيلي،١٩٧٤ ، ٢٢)،

فأجابه الامام وقال : " وجب عليك ان تطلب عالماً من اهل الذكر ، فالعلماء في هذه الامة كالانبياء في الامم الماضية يجب الاعتماد عليهم والسعي ان بعدوا "(المغيلي ، ١٩٧٤ ، ٣٢) ، فاصبح هذا الرأي بمثابة حافزاً للآسكيا فعمل على اختيار خيرة العلماء وأكفئهم ، وكان المغيلي واحداً من هؤلاء العلماء ، حيث اتخذه مستشاراً في الامور الدينية (مرجان ، ٢٠١١ ، ٩٣).

اما السؤال الثاني وهو من اهم الاسئلة التي وجهت الى الامام المغيلي : حيث يسأله عن الحكم في سني علي واعوانه من الظلمة هل هم كفار؟ حيث انه عاش عند اخواله في بلاد الفار، وانهم اهل كفر فتطبع بطباعهم حتى تغلب عليهم ، وانه ينطق الشهادتين، ولكن لا يعرف لهم معنى ولم يرى لا هو ولا احد من اهل دائرته في مسجد، كما انه حلل دماء العلماء والقراء وقتل بعضهم ، فما الحكم فيهم؟ وهل تسترق اموالهم وتباع نسائهم؟وهل يرد ما وجد معهم من اموال المسلمين التي نهبوها؟(المغيلي، ١٩٧٤ ، ٣٤)

فأجابة الامام : ان سني علي وجميع اعوانه لا شك انهم من اظلم الظالمين الفاسقين، فجهاد الاسكيا فيهم من افضل الجهاد ، ام هم كفار او لا؟ فلا يكفر احد بذنب من اهل القبلة، الا اذا انكر الصانع او صفة من صفاته، او يفعل فعل اهل الكفر من شرب الخمر والزنى ونحوه، او يقول بقول اهل الكفر ، اما عن سني علي فان كان كما ذكرتموه فهو كافر ، اما عن استرقاق اولادهم فلا أراه ، ونساؤهم لا تسبى، واما اموالهم فتكون فيء للمسلمين(المغيلي،١٩٧٤، ٤٠)الا ان فتوى الامام هنا قد لاقت الرفض وعدم القبول عند بعض الباحثين، حيث يُرى بان فتواه هذه، لم تكن نابعة عن قناعة منه ، انما كانت بضغط من الآسكيا (الدالي ، ١٩٩٩ ،١٠٦)، كما ان قوله : ان كان الامر بالنسبة لسني علي كما ذكرتم فهو كافر، فيرى بأن الحكم هنا باطل ؛ لانه اعتمد على طرف واحد غير محايد، معللاً ذلك بقوله " ان كان كما ذكرتم " اي انه لم يعلم بحقيقة ذلك ، ثم يتبع ذلك بسؤال آخر مفاده : لم ينزلق عالم مثل المغيلي ، يخشى الله هذا المنزلق ، ويسير في ركب الآسكيا لتحقيق اهدافه، ويجيب على هذه سؤاله بقوله : على الرغم من ان المغيلي كان متبحراً في العلم، الا انه كان من محبي التقرب على اعتاب الحكام، كذلك قوله ان المغيلي عرف بعدائه المفرط لليهود الذين قتلوا ابنه عبدالجبار في توات، ولذا تقرب من الآسكيا محمد لكي ينصره عليهم، وفعلاً تعاطف معه، واخذ له بثأره (الدالي ، ١٩٩٩ ،١٠٦-١٠٧) ، ونحن نرى بأن الامام افتى بموجب شريعة واضحة هو اعلم بها منا، اما قوله " كما ذكرتم " فهذا يخرجه عن كل ما يُستدانُ به، اذ جعل الحكم مبني على كلام الآسكيا، فهو ان كان كما ذكرتم فهو كافر، وان كان غير ذلك

فهو ليس بكافر، اما القول بأنه من محبي التقرب الى اعتاب الحكام، فنرى بأنه فيه نوح من التحامل على الامام، إذ نرى الامام قد ترك اهله وديارة وقطع كل تلك المسافة، حتى وصل الى مملكة سنغاي، لو كان يريد المناصب والتقرب الى الحكام، لأكتفى بالبقاء ببلده، والوصول الى ما يرغب به من المناصب الدنيوية، خاصة اذا علمنا ما قاله لسلطان فاس والله ما هي عندي الا هي والمراحيض (ابن عسكر ، ١٩٩٧، ١٣١)، فلا زهد للمناصب الدنيوية اعظم من ذلك ثم مسألة ان الآسكيا قد اخذ ثأر الامام من الجالية اليهودية الموجودة في جاو، فمن خلال الدراسة تبين لنا العكس، بل ان الاسكيا كان قد انتصر لليهود، حيث اطلق سراحهم، وذلك استجابة لرأي القاضي محمود بن عمر كونهم ابرياء ولا يؤخذون بجريرة يهود توات (التنبكتي، ١٩٨٩، ٥٧٧)، الا اننا نرى الباحث يختتم كلامه ويقول: بانه رجل عظيم مثل سني علي حكم ٢٨ سنة ويفتح الامصار لابد وان ينعت بمثل هذه النعوت الواهية من قبل اعدائه وحساده ، لأنه رجل ديدنه الحق، والحق صعب على غير السائرين عليه (الدالي،١٩٩٩ ،١٠٩)، وهذا الكلام يتنافى مع ما جاء بجميع مصادر التاريخ الافريقي ، فلو كان الامر كذلك لما سكتت غالبية الكتب والدراسات عنه طوال هذه الفترة، ولو كان لدينا دليل على ذلك فنقدمه كدليل، الّا ما كان من بعض العبارات، من انه كان ينطق الشهادتين، ثم انه اكرم عالماً في تنبكت وغيره من الاعمال المتواضعة التي لا تقارن بحجم ما وصف به من الاضطهاد للعلماء ولغالبية اهل مملكته .

وفي السؤال الثالث : يسأله عن الاموال والخدام الذين ورثتهم مملكته من سني علي، فمن كان منهم حر مسلم تركه هو وامواله، الا ان منهم مع انه مؤمن الا انه يعتقد بأن هناك من ينفعه ويضره من غير الله، ثم لهم اصنام يؤمنون ، فهل عليه امر ان رد اموالهم التي ادعوا انها سلبت منهم، وهل ان الشرع يبيح له قتلهم ومصادرة اموالهم ؟**فاجابه** : ان سني علي حمل عليه حمله على عنقه حتى انقضى اجله، وترك ذلك الحمل بينكم فحملته انت ، فاكسب لنفسك ما ترى فيه عليك البركة، فان اطلقت من ادعى انه مسلم فكان ذلك هو الصواب، وكذلك الحال في رد اموال المسلمين اليهم، ام تصرفات القوم التي ذكرت فهم مشركون (المغيلي ، ١٩٧٤ ، ٤٥).**السؤال الرابع** : ان كان الحاكم على المسلمين ظالم ويأخذ اموالهم ظلماً وعدواناً ، ويأخذ المكس، ولا يردع المفسدين، فهل لي ان ارده عن ظلمه، ولو ادى ذلك الى قتله ؟**الجواب** : ان من البلاد من كان عليهم اميراً يحكمهم ويراعي مصالحهم قدر الامكان، فهذا لايجوز لاحد ان ينازعه احد في ملكه، ولا تسحب يد عن طاعته .**اما السؤال الخامس** : ان هذه البلاد واسعة وفيها من المزارع والبحار والخيرات الوفيرة ، فهل لي ان اجعل عليها خراج يقر وفق احكام الاسلام، وهل لي ان اعين عالماً يجمع لي الزكاة، ويوزعها على مستحقيها ؟**فأجابه** : ان الصواب للامام العادل ان ينصب عاملاً لجع الزكاة في كل بلدة وصرفها في مصاريفها الثمانية التي حددها الشرع، ومن ابى اخراج الزكاة من ماله وجب على الامام ان يأخذها منه بحد السيف، وينبغي ان يجعل خراج على تلك البلاد لكن من دون تضييق على الناس (المغيلي ، ١٩٧٤ ، ٥٥-٥٦) .**وفي السؤال السادس** : يسأله أن عادة اهل السودان ومن القدم ان يورثون ابن الاخت في الملك وفي الاموال، حتى انهم وجدوا اموالاً كثيرة في ايديهم، فهل تؤخذ هذه الاموال منهم؟ ام يجبرون على توريثها بينهم وفق الشريعة الاسلامية ؟ كما ان الاخ الاكبر يأكل اموال اخوته في الميراث بحجة انه يربيهم عوضاً عن ابيهم ، فهل اموالهم تؤخذ لبيت المال(المغيلي،١٩٧٤ ، ٥٧-٥٨).**فأجابه** : ان القوم الذين لا يتوارثون على الكتاب والسنة ولا يعطون الميراث حقه ، فهم كفار ، وان لم يجحدوا الميراث فليؤمروا بالتوبة الى الله وليؤدوا الميراث وفق الشريعة الاسلامية ،وكذلك الذي يأكل اموال اخوته من التركة، فيجب ان يؤمر بالتوبة ويأخذ السلطان حقوق المستضعفين ويعطي كل ذي حق حقه (المغيلي ، ١٩٧٤ ، ٦١).وفي النهاية كان **السؤال السابع** : ما الحكم في من يدعي انه يعلم الغيب بالخط والرمل ونحوه، او عن طريق النجوم والجن، ومن يكتب لجلب الرزق والحبيب وغيره من اعمال الضلالة، والذين يغشون في البيع ويطففون المكيال والميزان، ولا يعطون الناس حقوقهم(المغيلي،١٩٧٤ ، ٦٢)**فأجابه** : ان كل ما ذكرته من عمل هؤلاء فهو ضلال وشرك عظيم، وواجب الامير ان يغيره، اما من ادعى بانه يعلم الغيب فهو كاذب، ومن يصدقه فهو كافر، فيجب ان يوقفوا للتوبة بالسيف، والذين يطففون الميزان ويغشون الناس في بضائعهم، فمن واجب الامير ان يجعل اميراً على السوق، ليقوم بمراقبة مثل هذه الافعال (المغيلي،١٩٧٤ ،٦٣)، وهنا نرى بأن الامام اراد ان ينظم اسواق سنغاي على وفق نهج الاسواق الاسلامية، لا سيما السوق الذي انشأه في توات، حيث كان يراقب السوق بنفسه، فلا يسمح بالغش، او التعامل بالاعمال المحرمة .

الخاتمة :

من خلال دراسة رحلة الامام محمد بن عبدالكريم المغيلي الى مملكة سنغاي ، احدى الممالك العظيمة في السودان الغربي ، تبين لنا جملة من النتائج ارتأينا ان نجعلها خاتمة لبحثنا وهي :

١- كان الامام المغيلي من اهم العلماء والفقهاء في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ؛ وذلك لما اتصف به من ذكاء وفطنة، وغيرة على دينه، وعلى اهل بلده.

٢- اسس الامام المغيلي زاويته في واحة بوعلي في مدينة تمنطيط التابعة لاقليم توات ، وجعلها مركزاً دينياً وقاعدة لانطلاق اعماله الجهادية ضد يهود توات ن الذين لم يهدأ له بال حتى اجلاهم من منها ، على الرغم من المعارضة التي لاقاها من بعض الشخصيات ، كقاضي توات ابو عبدالله العنصوني ، بالاضافة الى بعض فقهاء فاس .

٣- بعدما تطمأن على اوضاع اهل بلاده ، ورتب الامور فيها ، ارتحل الى افريقيا الغربية، وكانت وجهته مملكة سنغاي ؛ وذلك لوجود الآسكيا الحاج محمد الكبير ، وما اتصف به هذا الملك من حب للعلم والعلماء والفقهاء ، والعمل على اصلاح الانظمة الادارية في دولته ، على وفق ما رآه في المشرق الاسلامي من التنظيم .

٤- استمر رحلة الامام الى افريقيا الغربية حوالي عشرون عاماً انتقل خلالها لنشر الدين ما بين بلاد الهوسا في السودان الاوسط ، ومملكة سنغاي في السودان الغربي .

٥- نال الامام المغيلي في ممالك السودان الغربي الاهتمام الكبير، فأخذ يعمل في التدريس والفقه والنصح والارشاد ، ومحاربة البدع والخرافات ، بالاضافة الى العمل كمستشار للآسكيا محمد ، ثم طلب من الامام ان الافتاء والحل للمسائل التي كانت تواجه الآسكيا محمد، في جميع شؤون دولته، وطلب منه ان يرتب له الاجابة على شكل كتاب يرجع اليه فيما يشكل عليه من الامور في مملكته .

٦- كان الاسكيا محمد محباً للعلماء والفقهاء، وكانت لخهم المنزلة الرفيعة عنده، حتى نجده يخرج بموكبه للقاء القاضي ابو البركات عند عودته من الحج ، ثم انه عندما حبس الجالية اليهودية بعد استشهاد عبدالجبار ابن الامام المغيلي في توات ، قال له الشيخ محمود عمر قاضي تنبكت ، ان هؤلاء ابرياء فلا ذنب لهم ، مما جعله يطلق سراحهم ، وهذا يؤكد لنا ان الآسكيا محمد لم يكن يسمع فقط من الامام المغيلي في الخطأ والصواب ، لكنه كان يسمع للرأي الصائب، لاي كان من الفقهاء .

قائمة المصادر

اولاً : المصادر الاولية

١- التنبكتي ، احمد بابا ،(١٩٨٩) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، اشراف وتقديم :عبدالحميد عبدالله البرامة ، وضع وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، منشورات كلية الدعوة الاسلامية.

٢- التنبكتي ، محمود كعت (٢٠١٤) تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الامور وتفريق انساب العبيد من الاحرار، دراسة وتعليق: ادم بمبا، سوريا، مؤسسة الرسالة ناشرون .

٣- التونسي ، ابي القاسم بن محمد بن مرزوق بن عبدالجليل بن عظوم القيرواني ، رسالتان في اهل الذمة ، دراسة وتحقيق : عبدالمجيد الخيالي ، لبنان، دار الكتب العلمية .

٤- السعدي ، عبدالرحمن بن عبدالله بن عمران بن عامر ،(١٩٨١) ، تاريخ السودان ، طبعة هوداس وتلميذه بنوة ، باريس

٥- ابن عسكر ، محمد بن علي بن عسكر الحسني (١٩٩٧) دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، ط٢،الرباط، دار المغرب.

٦- المغيلي ، محمد بن عبدالكريم المغيلي ، (١٩٧٤) ، اسئلة الاسقيا واجوبة المغيلي ، تقديم الاستاذ :عبدالقادر زبادية ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

٧- المغيلي ، محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني (٢٠١١) ، مدونة الفقه التصوفي ، مصباح الارواح في اصول الفلاح ، تحقيق : مبروك مقدم ، تلمسان – الجزائر ، دار القدس العربي .

ثانياً : المراجع

٨- آدامو مهدي ، (١٩٨٨) الهوسا وجيرانهم بالسودان الاوسط ، تاريخ افريقيا العام ، اشراف : ج . ت . نياني ، مج٤ ، اليونسكو.

٩- الادريسي ، عبدالله حمادي ، (٢٠٠١) ، الامام بن عبدالكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والسقع السوداني ، وزارة الثقافة .

١٠- بوعزيز ، يحيى (١٩٩٥) ، اعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي .

١١- بوعزيز ، يحيى (٢٠٠١) ، تاريخ افريقيا الغربية ، الجزائر ، دار هومة .

١٢- الدالي ، الهادي المبروك ، (١٩٩٩) ، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية .

١٣- ايزارد ، ميشيل ،(١٩٨٨) ، شعوب وممالك منعطف النيجر وحوض الفولتا ، من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر ، تاريخ افريقيا العام ، اشراف : ج . ت . نياني ، مج٤ ، اليونسكو.

١٤- البكري ، عبدالحميد ، (٢٠٠٧) ، النبذة في تاريخ توات واعلامها من ق٩هـ الى ١٤هـ ، الجزائر ، دار الغرب.

١٥- الشكري ، احمد ، (١٩٩٩) ، الاسلام والمجتمع السوداني – امبراطورية مالي (١٢٣٠-١٤٣٠م) ، ابو ظبي ، المجمع الثقافي .

١٦- الزركلي ، خير الدين ، (٢٠٠٢) ، الاعلام ، ط١٦، لبنان ، دار العلم للملايين

١٧- الفيتوري ، عطية مخزوم ، (١٩٨٨) ، دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الاسلام) ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي .

١٨- مرجان ، سحر عنتر محمد احمد ، (٢٠١١) ، فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي ٦٢٨-١٠٠٠هـ/١٢٣٠-١٥٩١م)، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية .

١٩- مقدم ، مبروك ، (٢٠٠٦) ، الامام محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الامارة الاسلامية بافريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر الميلادي ، وهران –الجزائر ، دار الغرب للنشر والتوزيع.

٢٠- مقلاتي ، عبدالله و رموم ، محفوظ (٢٠٠٩) ، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الاسلام والثقافة العربية بافريقيا الغربية ، الجزائر ، دار الشروق.

٢١- ويدنر ،دونالد (د/ت) ، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ، ترجمة راشد البراوي ، القاهرة .

ثالثاً : الرسائل والاطاريح

٢٢- حاج أحمد ، نور الدين (٢٠٠٩-٢٠١٠) ، المنهج الدّعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والامراء و العلماء ، رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية، قسم أصول الدّين، جامعة باتنة ، الجزائر .

٢٣- قحام ، عمار ، و بن شعبان ، سلمى ، (٢٠١٦-٢٠١٧) الطرق الصوفية في السودان الغربي ودورها في الحياة الثقافية والدينية (ما بين القرنين ٩-١٣هـ/١٥-١٩م) مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ ، تحت اشراف :خالدي مسعود ، جامعة ٨ماي ١٩٤٥ ، قالمة .

٢٤- مبخوت ، بودواية ، (٢٠١١- ٢٠١٢م) الحركة العلمية في اقليم توات خلال القرون ٨-١٠هجرية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي ، اشراف سالمي زينب ، جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان الجزائر.

٢٥- يحي ، امينة احمد ، مسعود ، امينة أمحمد (٢٠١١-٢٠١٢) ، الامام محمد بن عبدالكريم المغيلي ودوره في ظهور الحركات الجهادية في غرب افريقيا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ افريقيا ، اشراف ابراهيم بتقة ، جامعة الجيلالي بونعامة ، الجزائر

رابعاً : البحوث والمقالات

٢٦- بعثمان ، عبدالرحمن (٢٠١٣) ، حملة المغيلي على يهود توات واثرها على الواقع الحرفي في المنطقة ، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية ، عدد٤ ، الجزائر .

٢٧- جعفري ، احمد (٢٠٢٠) ، حوار الامام محمد بن عبدالكريم المغيلي (٩٠٩هـ) مع ملوك وامراء غرب افريقيا واثره في حركة الفتح الاسلامي لافريقيا ،بحث منشور في مجلة القضاء المغاربي ، مج٤ ، عدد١ ، الجزائر ، الجامعة الفريقية احمد دراية .

٢٨- عبدالسلام ، عبدالغني ابمبولا ، (٢٠١٥) ، إسهامات المغيلي في تطوير المخطوطات العربية في نيجيريا : مخطوطة العوامل في النحو العربي للجرجاني نموذجا ، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا ، مجلة رفوف ، العدد ٦ ، نيجيريا .

٢٩- فيلالي ، فاطمة ، (٢٠١٩) ، منهج واسلوب العالم محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني في التأليف من خلال كتابه مصباح الارواح واصول الفلاح ، بحث منشور في مجلة الاستيعاب ، جامعة جيلالي اليابس – سيدي بلعباس عدد٢، الجزائر .

٣٠- مبيضين ، مهند احمد ، (٢٠١٤)، فتاوى المغيلي مصدراً لتاريخ مملكة سنغاي ، المجلة الاردنية في الدراسات الاسلامية ، مج ١٠،عدد٣، الاردن .

List of sources

First: Primary sources

-١ Al-Tanbukti, Ahmed Baba, (1989), Nail Al-Ibtihaj with Brocade Embroidery, supervised and presented by: Abdul Hamid Abdullah Al-Baramah, compiled and indexed by students from the College of Islamic Dawa, Tripoli, publications of the College of Islamic Dawa.
-٢ Al-Tanbukti, Mahmoud Kaat (2014) The history of the fatash in the news of countries, armies, and the most important people, mentioning the incidents of repetition, the greatness of matters, and the separation of the lineages of slaves from free people, study and commentary: Adam Bemba, Syria, Al-Resala Foundation, Publishers.
-٣ Al-Tunisi, Abu Al-Qasim bin Muhammad bin Marzouk bin Abdul-Jalil bin Azum Al-Qayrawani, Two Treatises on the People of the Dhimmah, study and investigation: Abdul Majeed Al-Khayali, Lebanon, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
-٤ Al-Saadi, Abdul Rahman bin Abdullah bin Imran bin Amer, (1981), History of Sudan, edition by Hodas and his student Banwa, Paris
-٥ Ibn Askar, Muhammad bin Ali bin Askar al-Hasani (1997) Dawhat al-Nashir for the virtues of the sheikhs of the tenth century in Morocco, edited by: Muhammad Hajji, 2nd edition, Rabat, Dar al-Maghrib.
-٦ Al-Mughili, Muhammad bin Abdul-Karim Al-Mughili, (1974), Al-Isqiya's Questions and Al-Mughili's Answers, presented by Professor: Abdul Qadir Zabadiah, Algeria, National Publishing and Distribution Company.
-٧ Al-Mughili, Muhammad bin Abdul-Karim Al-Mughili Al-Tilmisani (2011), Blog of Sufi Jurisprudence, Misbah Al-Arwah fi Usul Al-Falah, edited by: Mabrouk Moghaddam, Tlemcen - Algeria, Dar Al-Quds Al-Arabi.
Second: References
-٨ Adamu Mahdi, (1988) The Hausas and Their Neighbors in Central Sudan, General History of Africa, supervised by: J. T . Niani, vol. 4, UNESCO.
-٩ Al-Idrissi, Abdullah Hammadi, (2001), Imam bin Abdul-Karim Al-Mughili Al-Tilmisani and his response to the Jewish threat in the Tuat and Saqa Desert in Sudan, Ministry of Culture.
-١٠ Bouaziz, Yahya (1995), Flags of Thought and Culture in Guarded Algeria, Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami.
-١١ Bouaziz, Yahya (2001), History of West Africa, Algeria, Dar Houma.
-١٢ Al-Dali, Al-Hadi Al-Mabrouk, (1999), The Political and Economic History of Trans-Saharan Africa from the End of the Fifteenth Century to the Beginning of the Eighteenth Century, Cairo, Egyptian Lebanese House.
-١٣ Izard, Michel, (1988), Peoples and Kingdoms of the Niger Bend and the Volta Basin, from the twelfth century to the sixteenth century, General History of Africa, supervised by: J. T . Niani, vol. 4, UNESCO.
-١٤ Al-Bakri, Abdul Hamid, (2007), An Introduction to the History of Tuat and Its Notables from 9 AH to 14 AH, Algeria, Dar
-١٥ Al-Shukri, Ahmed, (1999), Islam and Sudanese Society - Mali Empire (1230-1430 AD), Abu Dhabi, Cultural Foundation.
-١٦ Al-Zirakli, Khair al-Din, (2002), Al-A'lam, 16th edition, Lebanon, Dar Al-Ilm Lil Al-Millain.
-١٧ Al-Fitouri, Attiya Makhzoum, (1988), Studies in the History of East and Sub-Saharan Africa (the stage of the spread of Islam), Qar Younis University Publications, Benghazi.
-١٨ Morgan, Sahar Antar Muhammad Ahmad, (2011), Maliki jurists and their effects on Western Sudanese society during the Mali and Song eras 628-1000 AH/1230-1591 AD), Cairo, Library of Religious Culture.
-١٩ Moghaddam, Mabrouk, (2006), Imam Muhammad bin Abdul Karim al-Mughili al-Tilmisani and his role in establishing the Islamic Emirate in West Africa during the ninth century AH and the fifteenth century AD, Oran - Algeria, Dar al-Gharb for Publishing and Distribution.
-٢٠ Muqalati, Abdullah and Ramum, Mahfouz (2009), The Role of the Algerian Touat Region in Spreading Islam and Arab Culture in West Africa, Algeria, Dar Al-Shorouk.
-٢١ Widener, Donald (d/d), History of Sub-Saharan Africa, translated by Rashid Al-Barawy, Cairo.
Third: Theses and dissertations
-٢٢ Haj Ahmed, Nour al-Din (2009-2010), Imam al-Maghili's preaching approach through the letters he sent to kings, princes, and scholars, Master's thesis in Islamic law, Department of Fundamentals of Religion, University of Batna, Algeria.

-٢٣ Qahham, Ammar, and Bin Shaaban, Salma, (2016-2017) Sufi orders in Western Sudan and their role in cultural and religious life (between the 9-13 centuries AH/15-19 AD) A memorandum for obtaining a master's degree in history, under the supervision of: Khalidi Masoud, University of May 8, 1945, Guelma.
-٢٤ Mabkhout, Boudouaia, (2011-2012 AD) The scientific movement in the Tuat region during the 8-10 centuries AH, a thesis for obtaining a master's degree in the history of Islamic Morocco, supervised by Salmi Zeinab, Abu Bakr Belkaid University, Tlemcen, Algeria.
-٢٥ Yahya, Amina Ahmed, Masoud, Amina Ahmed (2011-2012), Imam Muhammad bin Abdul Karim al-Mughili and his role in the emergence of jihadist movements in West Africa, a memorandum submitted for obtaining a master's degree in African history, supervised by Ibrahim Batqa, Djilali University Bounaama, Algeria.
Fourth: Research and articles
-٢٦ Bothman, Abdul Rahman (2013), Al-Mughili campaign against the Jews of Tuat and its impact on the craftsmanship of the region, Social and Historical Research Laboratory, No. 4, Algeria.
-٢٧ Jaafari, Ahmed (2020), Imam Muhammad bin Abd al-Karim al-Mughili's dialogue (909 AH) with the kings and princes of West Africa and its impact on the Islamic Conquest Movement for Africa, research published in the Maghreb Judicial Journal, Volume 4, No. 1, Algeria, University of Africa, Ahmed Draya.
-٢٨ Abdel-Salam, Abdel-Ghani Ambula, (2015), Al-Mughili's contributions to the development of Arabic manuscripts in Nigeria: Al-Jurjani's manuscript of factors in Arabic grammar as an example, Laboratory of Algerian Manuscripts in West Africa, Rafof Magazine, No. 6, Nigeria.
-٢٩ Filali, Fatima, (2019), the approach and style of the scholar Muhammad bin Abd al-Karim al-Maghili al-Tilmisani in writing through his book, Misbah al-Awwah wa Usul al-Falah, research published in Al-Isti'ab magazine, Djilali al-Yabis University - Sidi Bel Abbes, No. 2, Algeria.
-٣٠ Mubaideen, Muhannad Ahmed, (2014), Al-Mughili's Fatwas as a Source for the History of the Kingdom of Singai, The Jordanian Journal of Islamic Studies, Volume 10, No. 3, Jordan.